

التبيان في تفسير القرآن

(465) لما فيها من اللطف، والاعتبار، ويمكن الدلالة على الامور المقدورة ﷻ تعالى. وقول من قال ان قوله: " كن " سبب للحوادث التي يفعلها ﷻ تعالى فاسد من وجوه: أحدها - ان القادر بقدره يقدر على أن يفعل من غير سبب، فالقادر للنفس بذلك أولى. ومنها أن " كن " محدثه فلو احتاجت إلى " كن " أخرى لتسلسل، وذلك فاسد. ولو استند ذلك إلى كن قديمة، لوجب قدم المكون، لانه كان يجب أن يكون عقيب، لان الفاء توجب التعقيب وذلك يؤدي إلى قدم المكونات. ومنها أنه لو ولدت ولدت من فعلنا كالاتماد. وإنما استعمل القديم لفظة الامر فيما ليس بأمر هاهنا ليدل بذلك على أن فعله بمنزلة فعل المأمور في أنه لاكلفة على الامر، فكذلك هذا لاكلفة على الفاعل، وذلك على عادة العرب في جعلهم وقوع الشئ عقيب الارادة بمنزلة الجواب عن السؤال قال الشاعر: وقالت لنا العينان سمعا وطاعة * وحدرتا كالدر لما يثقب (1) فجعل انحدار الدمع قولاً على الوجه الذي بيناه. وقوله: (كن فيكون) ههنا لايجوز فيه إلا الرفع، لانه لا يصلح أن يكون جواباً للام في كن لان الجواب يجب بوجود الاول نحو اتني فاكرمك وقم فاقوم معك. ولا يجوز قم فيقوم، لانه بتقدير قم فانك إن تقم يقم. وهذا لا معنى له، ولكن يجوز الرفع على الاختيار انه سيقوم ويجوز في قوله: " إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون " (2) النصب، لانه معطوف على " أن نقول " كأنه قيل أن نقول فيكون. قوله تعالى: (ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل) (48).
_____ " 1 " مر تخريجه في 1: 431. " 2 " سورة النحل آية: 40